أو ان كان راهبا خائفا لم يسع [الا] في النجاة ولم يهرب [الا] من الخوف فالرجاء لا يكون الا بما يلقى في نفسه من الايعاد بالخير الذي هو طلب المحبوب أو فوات المكروه فكل بني آدم له اعتقاد فيه تصديق بشيء وتكذيب بشيء وله قصد وارادة لما يرجوه مما هو عنده محبوب ممكنا الوصول اليه أو وجود المحبوب عنده او دفع المكروه عنه والله خلق العبد يقصد الخير فيرجوه بعمله فاذا كذب بالحق فلم يصدق به ولم يرج الخير فيقصده ويعمل له كان خاسرا بترك تصديق الحق وطلب الخير فكيف اذا كذب بالحق وكره ارادة الخير فكيف اذا صدق بالباطل وارادة الشر فذكر عبد الله بن مسعود أن لقلب ابن آدم لمة من الملك ولمة من الشيطان فلمة الملك تصديق بالحق وعد وما كان [من] غير جنس الاعتقاد الفاسد و[لمة الشيطان] هو التكذيب بالحق وايعاد بالشر وهو ما كان من جنس ارادة الشر وظن وجوده أما مع رجاء ان كان مع هوى نفس وإما مع خوفه ان كان غير محبوب لها . وكل من الرجاء والخوف مستلزم للآخر فمبدأ العلم الحق والارادة الصالحة من لمة الملك ، ومبدأ الاعتقاد الباطل والارادة الفاسدة من لمة الشيطان قال الله تعالى (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا) وقال تعالى (انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه) أي يخوفكم أولياءه وقال تعالى (وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم) .

والشيطان وسواس خناس اذا ذكر العبد ربه خنس فاذا غفل عن ذكره وسوس فلهذا كان ترك ذكر الله سببا ومبدأ لنزول الاعتقاد الباطل والارادة الفاسدة في القلب ، ومن ذكر الله تعالى تلاوة كتابه وفهمه ومذاكرة العلم كما قال معاذ بن جبل : ومذاكرته تسبيح . وقد تنازع أهل الكلام في حصول العلم في القلب عقب النظر في الدليل فقال بعضهم ذلك على سبيل التولد وقال المنكرون للتولد بل ذلك بفعل الله تعالى ، والنظر إما متضمن للعلم

وإما موجب له وهذا ينصره المنتسبون للسنة من المتكلمين ومن وافقهم من الفقهاء من اصحاب مالك والشافعي واحمد وغيرهم وقالت المتفلسفة بل ذلك يحصل بطريق الفيض من العقل الفعال عند استعداد النفس لقبول الفيض وقد يزعمون أن العقل الفعال هو جبريل . فأما قول القائلين ان ذلك بفعل الله فهو صحيح بناء على ان الله هو معلم كل علم وخالق كل شيء لكن هذا الكلام مجمل ليس فيه بيان لنفس السبب الخاص . واما قول القائلين بالتولد فبعضه حق وبعضه باطل [فان كان دعواهم ان الفعل المتولد هو حاصل بمجرد قدرة العبد فذلك] باطل قطعا ولكن هو حاصل بامرين قدرة العبد والسبب الاخر كالقوة التي في السهم والقبول الذي في المحل ولا ريب أن النظر هو سبب ولكن الشان فيما به يتم حصول العلم ، واما زعم اولئك انه بالعقل الفعال من الخارجات التي لا دليل عليها وأبطل من ذلك زعمهم ان ذلك هو جبريل وزعمهم ان كل ما يحصل في عالم العناصر من الصور الجسمانية وكالاتها فهي من فيضه وبسببه من ابطل الباطل ولكن اضافتهم ذلك الى امور روحانية صحيح في الجملة فان الله سبحانه وتعالى يدبر امر السموات والأرض بملائكته التي هي السفراء في أمره ، ولفظ الملك يدل على ذلك وبذلك اخبرت الانبياء وقد شهد الكتاب والسنة من ذلك بما لا يتسع هذا الموضع لذكره كما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في ملائكة الخلق وغيره ، واما تخصيص روح واحد متصل بفلك القمر يكون هو جبريل هذا العلم فهذا باطل وليس هذا موضع استقصاء ذلك ولكن يعلم ان المبدأ في شعور النفس وحركتها هم الملائكة والشياطين فالملك يلقي التصديق بالحق والامر بالخير والشيطان يلقي التكذيب بالحق والامر بالشر والتصديق والتكذيب مقرون بنظر الانسان كما ان الامر والنهي مقرون بارادته . فاذا كان النظر في دليل هاد كالقرآن وسلم من معارضات الشيطان تضمن ذلك النظر العلم والهدى ولهذا امر العبد بالاستعاذة من الشيطان الرجيم عند القراءة واذا كان النظر في دليل مضل والناظر معتقد

١ صوا العقل لعاشر هو بر فلك القمر يزعمون

٢ كالاشاعرة

٣ كالمعتزلة

٤ يعني المتفلسفة

٥ اي العقل الفعال

٦ كما يزعم الفلاسفة ومن تابعهم

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)